فى رمضـــان

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

ليقل من شاء ما شاء ، فاني أعتقد أن الله تعالى يغفر لى ذنوبى وخطاياى جميعاً جزاء لى على صبرى فى رمضان . ومن كان له أولاد كأولادى ، وخدم كخدمى ، فان هؤلاء شفاعة كافية له بلا نزاع ، وإذا كان القارئ لا يصدق ، ولا يؤمن كايمانى بشفاعة هؤلاء لى ، فلينتظر حتى تقوم الساعة وينصب الميزان

عددت أبواب الغرف وما إليها فاذا هى عشرون ، ومنها تتألف جوقة موسيقية لا تفتر ولا تهدأ فى ليل أو نهار ، وقد يئست من حمل خادمتنا العجوز التى حملتنى طفلا — على كتفها أو ذراعها لا فى ... — على تزييت هذه الأبواب ، وما أكثر ما قلت لها إنى أشفق على هذه الأصوات الرخيمة أن تبح ، فكانت تبتسم — أو تظن أنها تبتسم — وتقول : « الله يخليك يا سيدى ! » . فأقول لها : « لا تخافى على فان عمر الشقى ، باق أى طويل ، ولمن غيرى يكون وجع القلب ؟ كلا : لا تخافى ، وإنى لفى أمان من الموت ما بقيت لى ، فاذا ذهبت أنت بعد عمر طويل ، فان هناك الأولاد ... ؛ كلا . لا خطر على من هذا الردى العادى اراصدلغيرى ، المتربص بسواه »

فتدعولى بطول العمر ، ولكنها لا تزيت الأبواب ! وقد حاولت أن أنهض أنا عنها بهذا العبء ، فكادت تدق عنق ، فكففت بعد ذلك ، ورضت نفسى على السكون إلى هذه الموسيقى

ومن طرائف هذه الخادمة العجوز أنها لا تكاد تسمع ، أو تبصر ، فهى لا تكاد تفهم . وأنا رجل خفيض الصوت جداً ، وأحتاج أن أكلمها — فما من هذا مفر فى بعض الأحيان — فأنادى أحد الأبناء الأفاضل وأقول له — وأنا أعلم أن هذا يسره — انقل عنى بصوت عال ، فيفعل ، ولكن اللعين يصيح فى أذنى أنا ! ! ثم يقع على الأرض من الضحك

ويكون الولدان الصغيران فى المدرسة ، وتكون بى حاجة الى كلام الخادمة، فاذا أصنع ؟ لقد جربت عبث الصياح ، فلا أقول لها « هاتى قهوة » . فتغيب شيئاً ثم ترتد إلى ، وتدعونى أن « أتفضل » فأتعجب ، وأسأل نفسى : « ماذا يا ترى ؟ هل شرب القهوة يستدعى أن تجرنى هذه العجوز إلى غرفة أخرى ؟ » وأطيع ، وأخرج ، وأتبعها ، فاذا هى قد أعدت لى طشتاً وإبريقاً وسجادة للصلاة ! !

لهذا صرت إذا احتجت أن أطلب منها شيئاً ، أكتب لها رقعة بما أريد ، تذهب بها إلى البقال أو النجار ، أو الجيران ؛ ليشرحوها ويبينوا لها ما فيها ، وما أكثر ما يعابثها البقال ! !

ولا أستطيع أن أنهرها ، أو حتى أن أظهر لها الغضب أو الامتعاض ، أو الضجر ، فقد ربتنى صغيراً ، وليس هذا ذنبى ، ولكنها تعدنى « ملكا » لها ، وترى أن هذا يخولها حقوقاً على ، فالبيت كله بيت « ابنها » بما فيه ، ومن فيه ، ومن كان لا يعجبه هذا فليتفلق !

على أن مصيبة الأولاد أدهى ، تكون الساعة الخامسة صباحاً ، فأسمع نقراً على الباب ، فأفتح عينى وأقول « تفضل .. تفضلا ... تفضلوا ... أو تفضلن » فيدخل اللعين الصغير الذى نسميه « ميدو » — وهى عندنا صيغة التصغير لعبد الحميد — فيدور بيننا هذا الحوار

— بابا

— نعم ياسيدي

— صباح الخير أولا

— صباح الخير ياسيدى . خير إن شاء الله ؟

— الساعة كم الآن ؟

— الساعة ؟ أو ليس عند ماما ساعة ؟

— عندها ساعة . ولكنها قالت لى البارحة إنها خربت ووقفت

— هى قالت ذلك ؟ وحضرتك صدقتها ؟

— وهل ماما تكذب ؟

— أعوذ بالله ! ! مستحيل ياسيدى . وهل يكذب إلا الكذاب ؟

وأخيره أن الساعة الخامسة فيقول

— أنا ذاهب إلى المدرسة

فأصيح ، وأستوى قاعداً ، « أى مدرسة يا أخى ؟ وهل صارت المدارس فى عهد هيكل باشا تفتح قبل الفجر ؟ أما ان هذه لبلية ! رح يا أخى ، رح نم ! »

فيقول « بس اسمع يا بابا »

فأقول وأنا أعيد رأسي إلى المخدة « سامع . تفضل »

— بقي الافندى قال لنا « يجب أن نكون موجودين في منتصف الساعة الثامنة، وأن من يتأخر عن هذا الموعد لا يشترك في الرحلة »

فأشتهي أن أقول في هذا « الافندى » أشياء كثيرة . وأقولها فعلا ، ولكن في سري ! كما كانت تفعل حماتي . أي نعم حماتي ، فقد كانت في هذا قدوة ، ومثلا يحتذى . وكانت إذا سخطت على إنسان ، توسمه ذماً ، وسباً ، ولعناً ، في سرها ! وكانت تجد في هذا شفاء لغليلها ، فتتبسم ، وتتنهد ، وتضع يدها على قلبها وتقول « أيوه كده ! الحمد لله ! كنت سأطق »

وأقول للغلام « ولكن أين نحن من هذا الموعد ؟ اذهب ، ونم »

فيقول : « لا يا بابا ، لئلا أتأخر ! »

فأقول : « يا أخي ، وما ذنبي أنا إذا تأخرت حضرتك »

فيقول : « إنما أردت أن أسألك هل أصوم ؟ لأني أكلت في السحور مع ماما »

فأهز رأسي ، وقد فهمت ، ذلك أن ماما لا بد أن تكون هي التي أوعزت إليه أن يبكر فيسألني هل يصوم أو لا يصوم وأقول له :

« إنك صغير ، جداً ، والصيام غير مفروض عليك ، ثم إنك ذاهب لتلعب ، وتنط ، فستجوع بسرعة ، فيجب أن تأخذ معك طعاماً وإلا مت من الجوع »

فيسألني « وماذا آخذ معي ؟ إنهم لم يُعدوا لي شيئا »

فأغتنم هذه الفرصة ، وأقول له « يا عبيط ! كيف تقول إنهم لم يعدوا لك شيئاً ؟ أو تتهم ماما بمثل هذا الاهمال ؟ »

فيسألني « هل تعني ... ؟ »

فأقاطعه وأقول بصوت كالهمس « اسمع ، لقد هيأت لك ماما كل شيء ، ولكنها لم تخبرك حتى لا تخرج قبل الأوان ، ثم لتفاجئك فتسرك ... ماما لطيفة ، أليست كذلك ؟ (فيهز رأسه موافقا) ولكني صرت أخشى الآن أن تتأخر ، وقد قال لك الأفندى إن من يتأخر لا يشترك في الرحلة ، فاذهب إلى ماما ، وأيقظها بلطف ، وصبحها بخير ، وارج منها أن تعطيك ماهيأت لك ... وستنفق لك أنها صنعت شيئاً ، لأنها تعتقد أنك بكرت جدا ، وساعتها كما تعلم واقفة ، فأفهمها أن الوقت قد أزف ، وخذ ما تعطيك ... والآن اذهب ، ومع السلامة ، وإن شاء الله تراك وتراها بخير »

فيذهب مسرورا ، فأنهض خفيفا ، وأمشي إلى الباب على أطراف أصابعي ، وأوصده بالمفتاح ، لأني أعرف ما يحل بي إذا تركته مفتوحا !!

والمثل يقول « جن الذي نجا من الموت ! » فلا تمضي دقائق حتى أشفق أن يتهشم الباب ، ويتحطم رأسي ، فلا يسعني إلا أن أفتحه ، فتدخل ماما ، كالأعصار وتصيح بي :

« يا هذا الذي صنعت ؟ تغري الولد بي ، فيوقظني في هذه الساعة وأنا صائمة !! »

فأقول : « ساعتك واقفة ؟ أليست كذلك ؟ »

فتقول ، وهي تغالب الضحك « يعني إيه ؟ »

فأقول ، وأنا أعود إلى السرير « يعني دقة بدقة ، والبادي أظلم ! »

فتقول : « راجع إلى السرير ؟ تاني وتنام ! شيء جميل ! »

فأقول : « من الذي أقلق صاحبه ؟ »

فتقول : « إنك أنت سبب القلق والمتاعب كلها في هذا البيت »

فأقول : « غفر الله لك يا امرأة ! اذهبي وتوبي إلى الله واستغفري لذنبك عسى أن يرحمك »

فلا يجدي هذا النصح ، وينتهي الأمر بأن أجمع المخدات المبعثرة في الغرفة ، وأعيدها إلى حيث كانت ، وأنا أنهج من التعب ، وأتمثل بقول الشاعر :

« ومن ظن أن سيلاقي الحروب وأن لن يصاب ، فقد ظن عجزا »

وهكذا ، وهكذا ، إلى آخره ، إن كان له آخر . فالحق أن أجري عظيم في رمضان !

ابرهيم عبد القادر المازني

التعليم والمتعطلون في مصر

أول كتاب من نوعه . يلقي مسؤلية التعطل على التعليم الحاضر ويوضح أثر السياسة القديمة وآثار سعد زغلول فيه . ويشرح آلام المعلمين والآباء والطلبة وآمالهم جميعاً . ويبين بجلاء عيوب المدرسة المصرية وطرق إصلاحها ويرسم خطة السياسة التعليمية الجديدة كما يضع حلاً لمشكلة المتعطلين.

رسم الاشتراك فيه ١٠ قروش
يرسل لمؤلفه الأستاذ عبد الحميد مطر بمدرسة حلوان الثانوية
وثمنه بعد الطبع ٢٠ قرشا